العمال والفلاحين والشبيبة والطلاب.

مع كل هذا التأييد، بقي الحزب الشيوعي يتحدث مع الجماهير بلغة ١٩٤٩، حتى بعد الانشقاق، علماً بأن الوضع الجماهيري قد اختلف تماماً، والظروف العامة قد تغيرت عن تلك التي كانت سائدة في العام ١٩٤٩. في حينها، كنّا أقلية بسيطة، مسلوبة القوة، لم نتجاوز ١٢٠ ألفاً، ومجتمعنا الأساسي قد انهار فجأة، فلم نكن نمتلك رؤية واضحة في مواجهة السلطة الجديدة. ولكن، بعد ذلك، بدأت الجماهير تدرك ان لها كياناً قومياً، وبدأت تصبح فاعلة، وازداد وزنها النوعي والعددي، وبدأت تتكامل وتتماسك؛ كما طرأت علينا تغيرات كبيرة ناجمة عن عملية الانتقال من الريف الى المدينة، أي الانتقال من مجتمع ٨٠ بالمئة منه من الفلاحين، الى مجتمع ٨٠ بالمئة منه من العمال، ونحو عشرة بالمئة، فقط، يعيشون على الزراعة. وقد حدث هذا الانتقال بسرعة هائلة ليس لها مثيل في التاريخ، فنشأت عندنا طبقة عاملة، احتكت بالمجتمع اليهودي، كما احتكت بالآلة، واصبح لديها، مع الوقت، وعي كبير؛ كما اصبحت تدرك مصالحها الى حد كبير.

ولكن، للأسف، لم يراع الحزب تلك التطورات؛ ولغته، في مخاطبة الجماهير، لم تتغير؛ وسياسته بقيت على الحال الذي كان عليه في العام ١٩٤٩، ولم تتطور مع مستوى تطور المجتمع العربي، وعياً وادراكاً، نوعاً وكمّاً، بل استمر الحزب في تحجّره الفكري والسياسي، وفقد علاقاته مع مستقبل النضال الفلسطيني، وطرح عدداً من الشعارات التي لم تتلاءم، حتى من حيث المبدأ، مع القضية الفلسطينية.

فالحزب، مثلاً، طرح قضية الحدود، اين تكون حدود كل دولة ؟ ونحن حتى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، كنّا متمسكين بخطوط الهدنة، ونطالب بتحويل هذه الخطوط الى حدود في حال التسوية. ليس هذا فقط، بل كنّا نطالب بانسحاب اسرائيلي من بعض المناطق الاخرى التي احتلتها اسرائيل في العام ١٩٤٩. فجأة، بعد حرب العام ١٩٦٧، تنازل الحزب عن خطوط ١٩٤٩، وطالب بالانسحاب الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. انني لا اعترض على الانسحاب الاسرائيلي الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧؛ انما أرى، مبدئياً، ان الحزب الشيوعي الاممي لا يحدد حدوداً، وليس من واجبه أن يحدد حدود «الدولة الفلسطينية» على انها هي حدود الرابع من حزيران (يونيو)، وعاصمتها القدس العربية، بينما القدس الغربية هي عاصمة الدولة الاسرائيلية. لقد اتخذ الحزب هذا الموقف ليكسب تأييداً دولياً لموقفه، وخصوصاً من المعسكر الاشتراكي، بينما الموقف الاممي يؤكد ضرورة النضال ضد الاحتلال والعدوان وفق كل الخيارات الدولية المطروحة والمعترف بها. اما أين تكون حدود هذه الخيارات، فهي غير محددة، المهم في الأمر مبدأ تقرير المصير واقراره، وليس هناك داع، الآن، لأن نبحث، أو نحدد، الحدود، فهذا أمر سابق لأوانه؛ لماذا نستعجل الأمور ونقسّم القدس منذ الآن ؟ ولماذا تخلّينا عن خطوط الهدنة ؟!

ان خط الحزب السياسي الذي أُقرّ في المؤتمر الخامس عشر ما زال ساريا حتى الآن. ففي ذلك المؤتمر، جاء في قرار اللجنة المركزية ان «حل القضية الفلسطينية يتم عن طريق اتفاق متبادل وحدود معترف بها من قبل الطرفين». واعتبر الحزب هذا الحل موقفاً لينينياً؛ ومن هذا المنطلق أكد الحزب «ضرورة التوصل الى حل بالطرق السلمية». ولكن السؤال المطروح: ماذا يقول لينين، اذا لم يكن هناك اتفاق متبادل، واذا رفضت اسرائيل أي اتفاق ؟ ولماذا نشترط، في الحل الذي نطرحه، مفاوضات مباشرة وبدون شروط مسبقة، بينما اسرائيل تفرض شروطها ومواقفها سلفاً، وتضم وتحتل من الارض ما تريد ؟ ان الاشتراط، في هذه الحالة، وفرض الأمر الواقع، مسموح لاسرائيل وممنوع عن العرب. وهنا، تصبح معادلة السلام الاسرائيلية «ان ما في حوزتها هو لها، وما في حوزة العرب يجوز التفاوض عليه». ثم لماذا يحدد الحزب التوصل الى حل بالوسائل السلمية فقط ؟ ماذا لو فشلت هذه الوسائل ؟ ولماذا مسموح لأي شعب يقع تحت الاحتلال ان يقاوم الاحتلال بكل الوسائل، بينما ممنوع عن الفلسطينيين ان يختاروا سوى الطرق السلمية ؟

كل هذه الامور اضطررنا الى تجاوزها في سبيل المحافظة على الحزب، وخوفاً من حصول أزمات داخلية تؤدي الى خلخلة تماسكه، وتهدد الانجازات الكبيرة التي حقّقها، على الرغم من كل